بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد للَّه ؛ نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يهده اللَّه ؛ فلا مضلَّ له ، ومَنْ يُضلل ؛ فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب] .

أما بعد ؛ فإن أصدق الحديث كلام اللَّه ، وخير الهدى هدىُ محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتُها وكلَّ محدثةٍ بدعة وكلَّ بدعة ضلالة ، وكلَّ ضلالة فى النار

قال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه « ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق فإن الحق قديم لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل » .

هذه العبارة الرائعة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى قاضيه أبى موسى الأشعرى ، ينبهه وينبه الأجيال من بعده إلى مبدأ هام ينبغى أن يتربى عليه الفرد والمجتمع المسلم ألا وهو المراجعة .

فالإنسان بطبعه خطّاء ، وكلما تحرك وعمل كلما زاد زلله ؛ لأنه لا عصمة بعد النبوة ولا سبيل بالطبع للوقوف على هذا الخطأ ومعالجته إلا بالمراجعة ، وهو أمر لا غنى عنه للفرد ، وللجماعة بل وللأمة جميعاً ، والمراجعة أول طريق الأوبه للّه والتصحيح ، لذا كان الأمر الشرعى بالمحاسبة والمراجعة . والآن لماذا المراجعة ؟

أسباب كثيرة تُوجب هذه المراجعة أبرزها اكتشاف الأخطاء والأوبة منها ، وتصحيح المسار ، وكف النفس عن العجب والغرور بما تعلم من أخطائها لتتواضع للّه وتخشع له ، هذا فضلاً عن أثرها فى إثراء الفقه بالحوار مع النفس والغير ، وتنشيط روح الاجتهاد ، والتخلى عن الجمود على القديم وإدعاء العصمة له مع

تأكيد مرجعية الشرع ، والتخلص من المرجعيات الدنيوية للأشخاص أو المبادئ والأفكار ، ولا يخفى أثر تكرار المراجعة فى تربية المجتمع على إحسان الظن بالناصحين ، وافتراض الصدق فيهم ، فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق الناس بها [١] ، وكثيراً ما يغفل المسلم عن القصور فى عمله أو عيوب نفسه حتى يرشده ناصح رشيد إليها .. وتزداد المسألة أهمية وحيوية لأولئك الذين يتصدون لقيادة الناس فإن المقدم إذا زَلَّ زُلَّ بزلته آخرون .. لذا فمراجعة المقدم تكون مهمة له ولغيره .

إذن .. هى مسألة فى منتهى الأهمية للفرد المسلم ، وللجماعة المسلمة لتصحيح مسارها وضبط حركتها .

فلماذا إذن لا يحدث هذا .. ولماذا تقصر الجماعات المسلمة فى واجب كهذا . ولماذا نتيجة ذلك تتضاعف مواطن القصور ، وتتضخم بمرور الأزمان بدلاً من أن تعالج وتوضع فى موضعها الصحيح .

---

(١) رواه الترمذى [٢٦٨٧] وابن ماجه [٤١٦٩] وقال الألبانى : ضعيف جداً

الحق أن هناك كثيرا من المعوقات تعطل الإفادة من هذا الفرض الهام نسوقها على وجه الاختصار فمنها :

١ – إحسان الظن بالنفس والإعجاب بالعمل :

فالإنسان مفتون بما يصنع ، ولذا فكثيرا ما تستدرج الجماعات والأمم حين يتسرب إليها هذا الغرور والعجب والاتكال على صلاح موهوم فتحسب إنها بلغت بأعمالها الكمال الذى لا ينبغى أن يفتش معه عن عيوب أو قصور ، بينما يعلق القرآن الكريم على صحب النبى صلى اللّه عليه وسلم لما انكسروا فى أُحد ﴿ أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

فأى جماعة بعد خير القرون تخلوا من نقص وقصور .

ومن أكثر ما ينمى هذا العجب حسن الظن بالنفس وتحقير عمل الغير والاغتراز بالنفس ومغالاة الاتباع ، وغلوهم فى إطراء طائفتهم ومشايخهم وثنائهم عليهم فى وجوههم .

٢ – تقديس المقدمين والمغالاة فيهم :

وما أعظم سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وهو ينهى عن المغالاة

فى تقديسه وهو يرد على الرجل الذى بالغ فى مدحه - وهو أهلٌ لكل مدح - فيقول « لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد اللّه ورسوله » (١) .

والعجب كل العجب أن ندرج أسماء سادة الصحب الكرام أبا بكر وعمر وعثمان هكذا دون ألقاب ، بينما نستنكف أن نُنادى إلا بحشد من ألقاب التكريم كالمشيخة والسماحة والفضيلة ، وشتان بين الطائفتين .

وما أعظم الفتنة على التابع والمتبوع بسبب هذا التقديس الموضوع فى غير موضعه .

٣ - الجهل والهوى :

وكلاهما ظلمة تحول بين المرء ورؤية حقائق الأشياء ، وأسوأ الجهل جهل المرء بنفسه وبأسقامها وأدوائها ، والمرء عدو ما يجهل حتى وإن كان فيه خيره .

وأكبر مساوئ الجاهل أنه يكره أن يوصف بالجهل أو يظهر منه ما يدل على ذلك ، خاصة بين اتباعه إن كان مقدماً فيهم ، ولذلك فهو يهرب من مكاشفة نفسه ومحاولة تقويمها .

---

(١) رواه البخارى [٣٢٦١] عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

٤ – مصادرة الرأى الآخر وإرهابه :

وهو ثمرة من ثمرات سنين القهر والاستبداد الطويلة التى عانى منها المجتمع المسلم حتى اعتاد الناس كل الناس والجماعات الإسلامية منهم على الرأى الأوحد ، ومصادرة الرأى الآخر وإخراجه من دائرة الحق ، بل والدين .. وما أسهل أن تطال الأحكام الجاهزة الحاسمة كل من له رأى آخر ، وسرعان ما تطلق عليه الألقاب الجاهزة فهو متخاذل أو منافق أو خارجى أو مرجئ أو ..إلى آخر هذا القاموس المعروف

فإن لم يكن لك نصيب من هذه الألقاب فانتظر تشهيرا يطال دينك أو عرضك أو أهلك ذما وتحريضا عليك .

ولذا فكل من يفكر فى مراجعة نفسه ، أو تقويم بعض مما يعتقد ، أو يعمل – بتردد – كثيراً إما توقعاته لحملة الإرهاب هذه ، والاتهامات المتنوعة كالفتنة فى الدين وعدم الثبات ومثل ذلك .

٥ – شماتة الشانئين :

وذلك أن الكثيرين لا يفرقون بين النصيحة والتعيير ، وما إن يتراجع أحدهم عن رؤية يراها حتى تنطلق الأبواق تعيِره بهذا التراجع وتطعن فيما عليه من منهج ، وترى فى ذلك فرصتها فى

الدعاية لمناهجها عن طريق السخرية من الآخرين مظهرة الشماتة فيه بينما المفروض فى هذه الظروف أن يمدح على مراجعته وتراجعه عن الخطأ لا أن يذم على خطئه المتراجع عنه .

٥ – الفهم الخاطئ بأن التصويب يعنى اهدار الفضل :

يظن البعض – مخطئا – : أن المجتهد المتبوع ينبغى أن نقبل قوله كله وندافع عنه ولا ننكر عليه خطأ ، وإن عُرِىَ عن الصواب ، وذلك حفظاً لفضله ، ومكانته وإن مجرد مناقشة ذلك وطرح الرأى المقابل انتقاص من فضل ذلك المجتهد ، وإهدار لمكانته .. بينما لا يخلو مجتهد من خطأ أو خلل لعدم العصمة ، والمولى عز وجل بيّن أن المجتهد مأجور ولو كان مخطئا ؛ أى إن فضله محفوظ حتى ولو أخطأ .. فالنقد هنا ليس مذموماً ، وإنما يُذم عندما يتحول من نقد غرضه سد الخلة إلى نقد يراد به الهدم والإهدار وإن من الخلل أن يتحول الحب إلى تقبل الصواب والخطأ ، والبغض إلى إهدار الصواب كما يهدر الخطأ ، والحق المطلق لا يكون فى شخص أو جماعة كائنا من كانوا – بعد موت النبى صلى اللّه عليه وسلم – وكل من طلب الحق مأجور حتى وإن أخطأه ولا يوصف بالمبتدع والفاسق طالما بذل فى ذلك الوسع ،

وفى هذا يقول الحافظ الذهبى كلاماً جميلاً : « لو أنا كلما أخطأ إمام خطأً فى اجتهاده فى آحاد المسائل خطأ مغفوراً له قمنا عليه وبدعناه وهجرناه لما سلم معنا ابن نصر ولا ابن منده ولا من هو أكبر منهما » (١) .

٦ – العلاقة التصادمية بين فصائل العمل الإسلامى :

الأصل أن تكون العلاقة بين فصائل العمل الإسلامى علاقة تكاملية تضيف كل منها جهدها إلى الأخرى ، وتعذر كل منها الأخرى إن قصرت .. ولكن وللأسف الشديد ، تشوب العلاقة بين فصائل العمل الإسلامى روح التحفز والتربص والنظرة الحزبية الضيقة والرغبة فى التنامى على حساب بعضهم البعض .. وهذا يجعل من عملية المراجعة والرجوع عن الخطأ من الصعوبة بمكان حذرا من الوقوع تحت براثن الجماعات الأخرى ، واستخدام ذلك فى التشهير .

وأخطئ هؤلاء حين اعتبروا المراجعة والتراجع عيبا يُشهر به والأولى أن تكون سبباً للمدح والإشادة وإن تلقى مثل هذه الخطوة .. التشجيع لتتسع دائرة المراجعة بين الجميع .

---

(١) سير أعلام النبلاء [١٤/٤٠] .

وفى هذا المعنى روى الحديث الشريف : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه اللّه ويبتليك » [١] .

٧ – توهم فتنة الأتباع :

وهى مشكلة خطيرة أن يظن البعض أن اطلاع الأتباع على الخطأ المتراجع عنه والإقرار بذلك الخلل والرجوع عنه من شأنه أن يردهم عن التمسك بالمنهج .. بل وربما ينفرهم عن الطريق كله ، وذلك هو الخطأ كل الخطأ إذ ينبغى أن يتربى الجميع على أن الإنسان بطبعه خطّاء وأن العصمة ذهبت بذهاب الرسل وأن الإنسان ما دام يعمل فلابد أن يخطئ ، بينما لا يخطئ الساكن المتقاعد .

ينبغى أن يتعلم ذلك عمليا لا نظرياً فما أكثر ما نردد ذلك ولكن تطبيقه غير ذلك ، أن الفتنة إنما تكون فى الاستمرار على الخطأ ، وإن الحق والصواب لا يكونان أبداً مصدراً للفتنة ، وإن من يفتنه الحق أبعده اللّه .

---

(١) رواه الترمذى [٢٥٠٦] عن واثلة بن الأسقع رضى الله تعالى عنه وقال الألبانى : ضعيف

٨ – الخطأ فى مفهوم الثبات على الحق :

« الثبات على الحق واجب » حقيقة لا مراء فيها ، ونحن مأمورون أن ندور مع الحق حيث كان ، هذا الأصل لا يعنى أن اتصور أن الحق هو اجتهادات البشر ؛ لأن اجتهادات البشر تصيب وتخطئ ، ولسنا مطالبين بالتمسك بها على كل حال أصابت أو أخطأت ، بل إن المتجرد فى الثبات على الحق لا يتردد فى ترك اجتهاداته ما وجد الصواب فى غيرها ، ولا يعد ذلك عدم ثبات على الحق بل إن ذلك هو عين الثبات على الحق ، وكم رأينا أصحاب النبى صلى اللّه عليه وسلم يغيرون من اجتهاداتهم لما تبين لهم الحق فى خلاف ذلك .. بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر غيّر موضع نزوله لما أشار عليه « الحباب بن المنذر » بمكان هو أصلح ، ولم يعتبر أن بقاءه فى مكانه الأول من الثبات على الرأى .. فإذا غير سادتنا اجتهاداتهم أفلا نغير نحن ذلك ، ومن نحن إلى جوار هؤلاء .

٩ – الضغوط المتوالية ، وسياسات الإجهاض وتجفيف المنابع :–

وكلها سياسات أمنية يراد بها مطاردة تواجد الجماعات ومحاولة تخليص المجتمع منها .. وهذه الضغوط بدلا من أن تحقق هذه

الأهداف فإنها تشيع بينهم ضرراً أشد إذ أنها لا تعطى فرصة للشباب أن يتوقف ليراجع نفسه بصدق لينظر ماذا قدم ، وما مدى موافقة ما قدمه للصواب وللنهج السليم .. بل على العكس تزيد من تشبثه بفكره وعقيدته إذ أنه ليس من السهل أن يتخلى عن فكرة أُوذى بسببها ، وضحى بزهرة شبابه من أجلها ، وهل يذهب كل ذلك هباءا .

نعم ؛ شدة الظروف والتضييق معوق أساسى للمراجعة ، وحاجز أمام العقل أن يصحح ويسدد ويقوم خاصة بين الشباب الذى تسيطر عليه المثالية والحماسة وشدة الاندفاع وقلة التروى ، وهى خصائص لا تنفك عنه بطبيعته [١] .

وبعد ..

هذه بعض معوقات المراجعة هانحن نشير إليها موجزة لننبه أنفسنا ، وإخواننا إلى السعى لتجاوزها وتذليلها ، لا نطمع من ذلك إلا إرضاء اللّه عز وجل ، وهى حرية بالبحث عن معالجة لها تبدأ باستحضار استرضاء اللّه عزوجل وهو أول أهداف المؤمن

---

(١) راجع بحث مفصل حول هذا الموضوع لمحمد مصطفى المقرئ لمجلة المنار الجديد « عدد ١٣ » .

بالبحث عن الحق حيث كان وتنتهى بالجرأة على مواجهتها بعواقبها والاستعانة باللّه على تذليلها .

ونعود لنقرر أن الثبات الصحيح على الحق إنما يكون فى الدوران معه حيث دار لا بالوقوف حيث تتجمد العقول والاجتهادات حتى وإن فارقها الحق .

واللّه نسأل أن يهدينا سواء السبيل .

○○○